مقاربة حول ألفاظ النداء في اللهجة العاصمية المعاصرة دراسة سوسيولغوية

عبد الرزاق عبيد
جامعة الجزائر

ما كان الإنسان ليكون إنسانا لولا ملكة اللغة. هذه الملكة العظيمة بوظائفها، البسيطة في استعمالاتها. فهي من هذه الناحية فريدة من نوعها. ملكة يتساوى في استخدامها العلماء، والفلاسفة، والبسطاء. هي أداة للاختراع العلمي، ووسيلة للتفكير الفلسفي، وقناة للاتصال اليومي.

وهي جديدة وليدة يومها، وقديمة قدم الانسانية. أن ملكة اللغة هي التي وطدت علاقة الإنسان بالإنسان، وحفظت لنا أخبار الأولين، وأسست للتشييد والعمران. وربما أولى المؤسسات الاجتماعية والثقافية التي أسسها الإنسان في فجر حياته هي اللغة. وذلك عندما هداه عقله النافذ إلى التواضع بالدوال الصوتية على المدلولات الذهنية (عبد الرزاق عبيد، 1992). فنشأت اللغة شيئا فشيئا مسايرة لتطور الفكر البشري وتشكل المجتمعات (J. Venbryes 79, 9). فاللغة والمجتمع وجهان لعملة واحدة منذ أن بدأ التفكير الفلسفي،

وفصل أحدهما عن الآخر لا يعدو أن يكون فصلا اصطناعيا، واجراءا منهجيا الهدف منه تسهيل الدراسات الموضوعية للظواهر العلمية.

وها هي الفروع العلمية المرتبطة باللغة تعود لتجتمع وتتركب ثانية تحت رهانات جديدة في إطار فعل التواصل (Acte de communication) فالاتجاه المعاصر اليوم ينحو نحو تداخل الاختصاصات العلمية القريبة والبعيدة أحيانا. فنشهد ظهور فروع مستحدثة بأسماء مثل:

الإناسة السياسية (Anthropologie politique)

اللسانيات البيولوجية(1) (Biolinguistique)

لسانيات الأطفال(2) (Pédolinguistique)

علم الأعصاب اللغوي(3) (Neurolinguistique)

علم النفس اللغوي(4) (Psycholinguistique)

اللسانيات الاجتماعية الخ... (Sociolinguistique)

وإن الحاجة لماسة اليوم للمزيد من المعطيات المتعلقة بالأفراد والمجتمع من أجل فهم أفضل لدلالة الخطابات اللسانية، والأبعاد الاجتماعية. ولهذا فإن اللغة لا يجب أن تدرس بصفتها بنية منعزلة، وإنما يجب أن تدرس كبنية صغرى (Microstructure) من بنية كبرى (Macrostructure). أهم مكوناتها هما اللغة والمجتمع (C. Baylon, 91, 9) ففي اللغة وبها يتم فهم المجتمع، كما أنه في المجتمع وبه يتم فهم اللغة. ذلك أن كل فرد لا بد أن يرتبط بفئة ما، ووسط ما، وينتسب بنسب غير متساوية إلى العديد من المستويات اللغوية التي لا تتطابق بالضرورة (P. Encreve, 77, 9). ويتعامل يوميا مع جماعة ما، في ظروف ما، فيترتب على ذلك نوع من اللاتوازن في العديد من المستويات التواصلية. مما يجعل الفرد يعمل على تعديل الخطابات اللسانية لتلائم المقامات (Situations) والسياقات (Contextes).

لاحظ لابوف (W. Labov) عند دراسته للغة سكان نيويورك أن الطبقة المثقفة والراقية من المجتمع الأمريكي تنطق صوت الثاء في مثل (thing) و(then) صوتا احتكاكيا ما بين اسناني، في حين تنطقه الطبقة الأمية الفقيرة صوتا شديدا. وقد يصحح الأستاذ للطالب هذا الصوت الشديد إذا كان في القسم. غير أن نفس الأستاذ إذا لم يكن في موقف يراقب فيه أسلوبه قد ينطقه هو نفسه صوتا شديدا (C. Baylon, 91, 88).

إن الفرد ينتقى المفردات، وينسق التراكيب قبالة علية القوم، ومن يتسمون بالمراتب الاجتماعية السامية، أي أنه يخضع لغته للمراقبة الصارمة ليظهر بالمظهر اللائق في الموقف المعين. ويسلك سلوكا لغويا مألوفا يتسم بالعفوية والتلقائية في المعاملات اليومية. كما يسلك سلوكا مغايرا فيترخص في الكلام ويترك لنفسه العنان مع الأصدقاء والخلان.

والمهارة الحقيقية للفرد المندمج في مجتمعه تكمن في تعديل المستويات اللغوية بحسب المقامات والسياقات والظروف الاجتماعية. وهذا ما أدى إلى ظهور العديد من الفروع العلمية الجديدة(5) بحسب بعض الدارسين أو علم واحد بتسميات كثيرة في نظر البعض الآخر.

مارسيليزي - بايلون	تودوروف
(عناوين موضوعات مختلفة)	(عناوين مختلفة لموضوع واحد)
Ethnolinguistique	Ethnolinguistique
Sociolinguistique	Sociolinguistique
Sociologie du langage	Sociologie du langage
Linguistique sociale	Linguistique anthropologique

إن تقارب هذه الفروع العلمية عامة، وعلم الاجتماع خاصة، والتي ظلت لعقود طويلة منفصلة، كان السبب الرئيس فيها ما حققته اللسانيات من نتائج علمية دقيقة، ليس على مستوى النحو والصرف والصوتيات فحسب؛ فإن هذه القوائم المغلقة والمحدودة العلامات قد كانت منذ القديم تتميز بكثير من الصرامة والدقة العلمية، وإنما معجزة اللسانيات المعاصرة هي التحاق المستوى المستعصى منها ببقية المستويات الأخرى وهو عالم الدلالة.

إن النتائج العلمية التي تحققت على مستوى دلالة المفردات تحت لواء المدرسة البنوية الأوربية في دراسة دلالة المفردة الواحدة. وتحت لواء مدرسة النحو التحويلي التفريعي: ولا سيما النظرية المعيارية الموسعة (C. Nique) في دراستهما للدلالة الجملة، هي التي كانت السبب الرئيس لاهتمام الفروع العلمية الأخرى بنتائج اللسانيات، يقول كريستيان بايلون (C. Baylon): كل علم يسعى لدراسة موضوع ما دراسة شاملة يتحتم عليه أن يتخذ اللسانيات مرجعا للمعارف المنظمة (1991, 26) مهما تغيرت التسميات من محتوى ودلالة ومفاهيم مشتركة، وتحليل دلالي الخ ... (1991, 26). إنه لا يتصور عزل اللسان عن الجماعة المستعملة له بحال من الأحوال. ولقد ترتب على تقارب اللسانيات بعلم الاجتماع نتائج لم يكن ليتوصل إليها بدونهما معا.

إن الملفوظ (Enoncé) «صحّ ياخو» مثلا ينتمي إلى قناة تواصلية من القنوات التي يستعملها متكلم معين في علاقاته بجماعة معينة، وفئة معينة وجنس معين، في موقف معين. وبهذه الصفات فإن هذا الفعل الكلامي (Acte de parole) خاصية اجتماعية محضة. تنتمي إلى لغة معينة، وتتشكل من تراكيب معينة، ومفردات معينة، وأصوات معينة، فهو من هذه الناحية موضوع من موضوعات اللسانيات (C. Baylon, 1991, 21).

وما من شك في أن التحليل الاجتماعي الصرف له من المبررات العلمية ما يجعله علما قائما برأسه، ولكن تنقصه دقة التحليل اللساني، لاعتماده على دلالة المفردات أو الجملة كما تبدو من الظاهر، وافتقاره إلى دقة الدلالات التركيبية اللسانية. ولا أدل على ذلك من الفروق الدلالية التي تظهر لنا في التراكيب التالية:

- جاء محمد
- محمد جاء
- قد جاء محمد
- أن محمدا جاء
- أن محمدا قد جاء.

إن جميع التراكيب السابقة تحمل في طياتها فكرة تتضمن الاقبال، وفكرة تتعلق بشخص اسمه محمد، وشيئا آخرا إضافيا يسمى في علم اللسان بلاغة. ويتمثل في علاقة المرسل بالمستقبل. أو بعبارة أخرى يتمثل في المعلومات المسبقة التي لدى المرسل إليه؛ من حيث استقبال دلالة الخطاب اللساني، وذلك إن كانت الأهمية لفكرة المجيء أو الأهمية لشخص محمد أو لجهل السامع أو شكه الخ... وهذه المعاني الدقيقة اللطيفة لا يتعمق فيها علم الاجتماع بمفرده على أهميته؛ بل أن الأمر لا عمق من هذا بكثير. وقد أحس علماء اللغة القدامى بهذه الدقائق البيانية كما أحس بها المعاصرون (انظار لغوية، سالم العلوي)(6) فعقد لها العلماء المجالس(7) والمناظرات الطويلة، كمناظرة الكسائي وأصحابه مع سيبويه(8) ومناظرة السيرافي مع متى بن يونس(9) ومناظرة عيسى بن عمر مع أبي عمر بن العلاء(10) واضرابهم.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن الوصف اللغوي بمفرده لا يغنى عن السياق ولا عن الدلالة غير اللسانية. جاء في الخصائص:

والعينُ تُبدي الذي في نفس صاحبها من العداوة أو وُدّ إذا كـان

فيعلق ابن جنى على هذا البيت قائلا: (أفلا ترى إلى اعتباره بمشاهدة الوجوه وجعلها دليلا على ما في النفوس. وعلى ذلك قالوا: «رب اشارة أبلغ من عبارة» (ابن جنى، 1952، 246/2).

وما أكثر الأدلة غير اللسانية في حياتنا المعاصرة (السيمياء Sémiologie) حتى أن نسبة الأدلة غير اللسانية بالنسبة للأدلة اللسانية كنسبة جبل الثلج (Iceberg) الطافي على وجه الماء. وهي من الكثرة والتنوع والاختلاف ما لم يتم حصرها كلية، ولا تحديد وظائفها وأنساقها كاملة. ولهذا لا مندوحة لنا من اتخاذ الفرعين معا بصفتهما موضوعا واحدا لاستكمال أوجه النقص التي في كل واحد منهما.

يقول ك. بايلون (C. Baylon, 91): للوقوف على العلاقات التي بين اللغة والثقافة يمكن أن نبحث عن المعرفة الثقافية من خلال اللغة، كما يمكن أن نعمد إلى مسلك آخر. هو البحث عن معرفة دلالة الواقعة اللسانية في علاقاتها بالحالات الاجتماعية والثقافية (...) أن العلم الصرف بالمعطيات اللسانية لا يكفي للإلمام بمعنى الوحدة المعجمية، والعلاقة التركيبية لهذه الوحدات بالمقام (Situation) والسياق (Contexte) الذي جرى فيه الفعل الكلامي (Acte d'énonciation).

وهكذا نحصر نحن من جهتنا موضوع هذا العلم في الدلالة اللسانية من جهة، والظروف المحيطة باستعمالها من جهة أخرى. وكل ما يرتبط بها من علاقات تحدد طريقة استعمالها. وحتى يمكن أن تستعمل الأدلة، وتؤدي الغرض المنوط بها لا بد من توفر حد كبير من التواضع والتفاهم بين أفراد الجماعة اللسانية.

وتنشأ الجماعة كما يقول ج.أ. فيشمان (J.A. Fishman, 1971, 46) «من الاتصال المكثف و/أو من وحدة الرموز وامكانية التواصل». ويقول و. لابوف (W. Labov) أن

الجماعة لا تتحدد بالاستعمالات الصريحة للعناصر اللغوية فحسب بل تتحدد بالمساهمات المتعددة للمعايير المشتركة (Les normes partagées) (1973, 187). ويفضل ج.ب. مارسيليزي (J.B. Marcelles) أن يحدد مفهوم الجماعة من الوجهة اللسانية بكونها مجموعة من الفئات (Groupes) المتداخلة في علاقات جديدة من نفس المساق الابداعي ومن مجموعة معايير الطبقة المهيمنة التي تخضع للمراجعة المستمرة (1996, 146).

إن مفهوم الجماعة اللسانية وفقا لهذه المؤشرات لا يتقيد بالضرورة بسن معين (كبار، شباب، صغار) ولا بجنس معين (ذكور، إناث)، ولا بمستوى ثقافي معين (مثقفون، أميون) ولا بمستوى اقتصادي معين (أغنياء، فقراء) على الرغم من الأهمية القصوى لهذه الثنائيات في الدراسات الاجتماعية، بل تعد الجماعة اللسانية منسجمة إذا كان أفرادها يتخاطبون فيما بينهم بكيفية يختلفون بها عن الجماعات الأخرى الغريبة عنهم، وبالأحكام المعيارية والتقييمية؛ أو ما يعرف لديها بأن هذا الفعل حسن أو قبيح، ملائم أو غير ملائم لهذا السياق أو ذاك (C. Baylon, 91) وببعض القوالب الجامدة (Stéréotypes) والمراد بها المحافظة على نفس السلوك، أو تكرار نفس الحركات أو نفس العبارات (Robert, 1983, 1963).

ووفقا لهذه العناصر فإن هذه الدراسة تعد ميكرو سوسيولغوية (Micro-sociolinguistique) لأنها ستتبع ألفاظ النداء فقط في أحياء العاصمة لدى الباعة والمتجولين، والتجار وأصحاب المحلات، والأسواق العمومية، ووسائل النقل وغيرها. وأماكن كهذه من شأنها أن تضم جميع الفئات المذكورة سابقا. ومن هنا يتحتم على كل فرد من أفرادها أن يعدل خطاباته ويراقبها بحسب المقام (Situation) والسياق (Contexte).

وسنحلل من جهتنا الخيارات اللسانية (قائمة ألفاظ النداء)(11)، والخيارات الاجتماعية (الجنس، السن، والهيئة، والسياق، الخ..). التي اختارها المنادي عند ندائه، ونحلل اتجاه العلاقات التواصلية (كبار/كبار - شباب/شباب - صغار/صغار) ثم اختلاف الفئة والجنس والسن) كما نحلل اتجاه المؤشرات الاجتماعية.

كل هذا من أجل الوصول إلى المعايير الاجتماعية التي تتعامل بها الجماعة اللسانية العاصمية، والقيم الرمزية واللسانية للأفعال الكلامية. كما قد نتعرض أيضا لبعض أوجه التطور الندائي التي حدثت في الفترة الزمنية المنصرمة.

الوظائف اللسانية والاجتماعية لألفاظ النداء واتجاهاتها

إن هذه المقاربة قد أغفلت عمدا ألفاظ النداء الخاصة بأسماء الأعلام عامة، كما تغافلت أيضا على الأفراد الذين يعرفون بعضهم بعضا. وذلك لأنهم غالبا ما يتنادون بأسمائهم الصريحة. فإهتمت بالفرد المجهول وليس المعلوم. وكانت وسيلتنا لهذا الهدف هي ملاحظاتنا المباشرة للنداءات كما هي جارية في الحياة اليومية العادية، والاستبيان الذي وجهناه لفئات مختلفة من السيدات والسادة، وبعض طلبة السنة الرابعة(12). فكان من بين المستجوبين من ينتمي إلى العاصمة إقامة ومنشأ؛ وبهذه الصفة فإنه يعد فصيح اللسان في لهجته بمعيار الجاحظ(13) وابن بيئته الاجتماعية. ومنهم من قدم من نواحي الوطن المختلفة. وقد اعتمدنا عليه لقناعتنا برهافة حس الغريب وشعوره المفرط بكل ما هو جديد عليه. إن الإنسان الغريب تنشط حواسه لاكتشاف الظواهر الجديدة سواء كانت هذه الظواهر سلوكات مادية أو لفظية.

ونظرا لقضاء الطلبة أربع سنوات على الأقل بالعاصمة فإن هذه الفترة تعد كافية لديهم للتعرف على ألفاظ النداء واستعمالاتها كما هو متواضع عليها في الحياة اليومية.

وقد تكونت مدونة (corpus) ألفاظ النداء التي سعينا في جمعها من حوالي (30) ثلاثين لفظا. تنقسم لسانيا إلى ثلاثة أبواب.

1 - الأدبي الفصيح:

ويتمثل في لفظ (يا سيدي) و(يا سيدتي) و(يا آنسة)، وهذه الألفاظ لا ترد إلا على ألسنة المثقفين. وفي سياقات معينة غالبا ما تتسم بالرسمية. وذلك مثل التعليم، والإدارة، ووسائل الإعلام. فهي من الألفاظ المراقبة والشديدة التراتبية.

2 - العامي:

ويتمثل في العدد الأكبر من الألفاظ وهو متنوع بتنوع الفئات والأعمار، ونوع الجنس والمرتبة الاجتماعية والثقافية الخ...

أ - للذكور منه: يالحاج، يا سي محمد، يا رجل، ياشيخ، ياخويا، ياولد، ياوليدي، ياوليدو، ويابني، ياخو، ياطفل، ياعمو، ياجارو، يالعزيز.

ب - للإناث منه: يا أختي، يامرا، يايما، يالحاجة، يا طفلة.

3 - الدخيل:

ويتمثل في يابابا (Papa)، ويامدام (Madame)، ويامدمزيل (Mademoiselle)، وياجان (Jeune)، وياطاطا (Tata). وهذه الألفاظ دخلت كلها من الفرنسية، وأخذ

البعض منها مكانه ضمن اللسان العاصمي. مثال ذلك (يابابا) التي تغيرت بعض حروفها بما يتلاءم وأصوات اللغة العربية. وكذلك لفظة يامدام (Madame) التي غالبا ما تجرى على ألسنة بعض المثقفين وغير المثقفين ليتلوها كلام بالعامية العاصمية فتدخل عليها بعض الأدوات النحوية كالتعريف والتنكير، والمفرد والجمع وغيرها. (وسنعود إلى هذا اللفظ بعد قليل).

إن حديثنا قد ينصب خاصة على ألفاظ النداء الموجهة من المنادي المفرد إلى المنادى عليه المفرد لكن هذا لا يجب أن يشغلنا على ألفاظ النداء الموجهة من المفرد إلى الجماعة وهي ألفاظ تتميز بكون البعض منها خاص والبعض عام.

الخاص: مثل (يارجال) و(ياشبان) و(ياأولاد) لمناداة الذكور. و(يانساء) و(يابنات) لمناداة الإناث. وهذا التقسيم الثنائي الحاد بين الكبار من الإناث والصغار يهمل فئة الشابات اللائي قد يدخلن تحت لفظ (نساء) تارة، وتحت لفظ (بنات) تارة أخرى.

العام: ويتمثل في مفردة واحدة تضم الرجال والنساء معا وهي (ياناس). وغالبا ما يرتبط النداء بهذه اللفظة بسياق طلب النجدة أو المعونة أو التشهير الخ...

أما ألفاظ النداء المفردة -موضوع حديثنا- فإن كل لفظ منها يتضمن عددا من المعاني الجزئية الناجمة عن علاقة المنادي بالمنادى عليه، وذلك لأنه لا يكفي في التعاملات اللفظية اليومية الإلمام بالألفاظ ومعرفة دلالاتها؛ بل يجب معرفة المقامات التي تستعمل فيها أيضا. ولنأخذ على سبيل المثال النماذج التالية للتوضيح والاستشهاد.

يا جارو: هذا اللفظ حديث العهد نسبيا على ألسنة الشباب الذكور العاصميين. ولا مؤنث له من جنسه. فلم ترد لفظة ياجارتي في النداء على الغريبة أبدا. ولفظ

النداء هذا مطرد على ألسنة الشباب في علاقاتهم التواصلية العادية والخاصة. بمعنى أنهم يتنادون به عند إحساسهم بقرابة السن دون مراعاة للفوارق الاجتماعية صعودا أو نزولا. ويتضمن هذا اللفظ المعاني الجزئية الآتية:

المنادى عليه: جنسه: ذكر

سنه: شاب

طبقته: عامة الناس وخاصتهم

المنادى: جنسه: ذكر

سنه: شاب

طبقته: عامة الناس

العلاقة القيمية: مساواة. لا علاقة تراتبية

وكما تحددت هذه المعاني الجزئية إيجابا فإنها تتحدد سلبا أيضا. بأن هذا اللفظ ليس من ألفاظ النداء التي ينادى بها الكبار من النساء على النساء ولا الرجال ولا الشباب ذكورا وإناثا ولا الأطفال ذكورا وإناثا.

يا الحاجة:

لفظ يوجه لكل امرأة كبيرة نسبيا من عامة الناس. ويوازيه لفظ ياالحاج بالنسبة للرجال. وهذان اللفظان عوضا لفظي: (يارجل ويامْرا) اللذين كانا مطردين قديما وقل النداء بهما اليوم. ولم تبق أثارهما إلا على ألسنة بعض الكبار. وهكذا يستعمل لفظ الحاجة بالكيفية التالية:

المنادى عليه: جنسه: امرأة

سنة: كبيرة

طبقته: عامة الناس

المنادي: جنسه: غير مخصص

سنه: غير مخصص

طبقته: غير مخصصة

العلاقة القيمية: قيمة دينية

ويلاحظ دغبار رضا أن هذا اللفظ في أحاديث شباب باب الوادي المرسلة ولا سيما في السنوات الأخيرة صار يطلق من قبل الشباب على الفتيات المرتديات الحجاب مجازًا للسخرية والاستهتار بهنّ لأنه صار يرتدى وكأنه موضة أو شيء مفروض عليهن فقط (185، 186 الرسالة) وعلمنا مؤخرا أن الفتيان إذا أرادوا التشبيب بالفتيات المتحجبات نادوهن بلفظ Tata بدل لفظ الحاجة الذي كان مستعملا من قبل.

– مادام: Madame

تنادى بهذا اللفظ كبار النساء ذوات المراتب الاجتماعية المتميزة في المجتمع. وقد يطرد على ألسنة المثقفين أكثر من غيرهم. ويلاحظ في هذا اللفظ الأجنبي أنه لا منافس له في اللسان الجزائري سوى لفظ: (يا سيدتي) الذي ينتمي إلى مستوى اللغة النموذجية (= العربية الفصحى La langue standard). ومعنى هذا أنه لا يوجد في العامية العاصمية لفظ تنادى به المرأة ذات المرتبة الاجتماعية والثقافية، ولعل سبب ذلك ندرة مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية العامة قديما. حيث أن جميع المناصب الإدارية وغير الإدارية كانت حكرا على الرجال وحدهم. وعندما بدأت المرأة تشارك الرجل في الحياة العملية كأستاذة وطبيبة وإدارية

الخ...، ونظرا لطبيعة اللغة الأجنبية التي ارتبطت بهذه الوظائف أول أمرها، أضحى هذا اللفظ هو الوحيد الذي تنادى به، وقد سبق لنا أن ذكرنا بأنه صار خاضعا لتراكيب العربية وصرفها فضلا عن أصواتها. ونفس هذا اللفظ إذا ذكر في سياق الحديث العادي ولا سيما لفئة الشباب قد ينمط معناه ويصبح دلالة على «فتاة متزوجة» أو عازبة .. لارتكاب فاحشة الزنا (دغبار رضا، لغة الشباب بالجزائر العاصمة، حي باب الوادي نموذجا، تناول سوسيولساني، 1999)

- ياخو:

يظهر أن هذا اللفظ مختصر من لفظ (خو+ياء النسبة أو خو+ضمير الغائب وهو الأرجح). ويكون العاصميون قد قاسوه أول أمره على كلمة أخرى هي: (مو) المرخمة بدورها من لفظ (محمد)؛ نسبة إلى نبينا محمد (صلعم) الذي كان المجتمع الجزائري ولا يزال يتيمن به. فكان الأبوان إذا ولد لهما المولود الأول سموه محمدا تبركا. ولفظ (خو، ومو) مقتصران على العاصمة دون غيرها من نواحي الوطن الأخرى. ولاطرادهما تولدت منهما ألفاظ أخرى مشابهة. وهي: عمو، وليدو، جارو الخ.. وكلها تنتهي بواو وهاء محذوفة للدلالة على الغائب. ويرى دغبار رضا أن العامل في ذلك صوتي وسقوط الياء (الرسالة، ص 173). وعلاقة المنادي بهذه الألفاظ بالمنادى عليه علاقة تحمل في دلالاتها الباطنية الانفصال (Disjonction) والإبتعاد. فهو أخ أو عم أو جار لإنسان آخر غيري لا تربطني به صلة. فلا هي علاقة قرابة دموية (بياء النسبة) ولا هي علاقة مركبة اجتماعية (Statut sociale).

إن لفظ (ياخو) الذي يتوجه به الشباب الذكور بعضهم لبعض في حالة المساواة ولمن هم أصغر منهم أحيانا قد يفسر بدلالته اللسانية والاجتماعية بعض أسباب

الاعتداد المفرط بالنفس والحساسية الزائدة في التعامل اليومي، وذلك لانعدام التراتبية الاجتماعية (La hierarchisation sociale) مما يصعب انقياد أدناهم لأعلاهم وما يترتب على ذلك من ضغوط نفسية وأزمات اجتماعية.

ياخويا، ياختي:

ياخويا لفظ يتوجه به الشباب بعضهم لبعض. الذكور للذكور والإناث للذكور خاصة. وهو اللفظ المطرد بينهن لمناداة لداتهم من الذكور وذلك في العلاقات العامة والخاصة، ولفظ ياأختي يتوجه به الشباب من الإناث والذكور لكل فتاة في الحالات العادية والخاصة. وبهذه الصفة فإن هذا اللفظ يصلح للجميع.

وليدي، بنتي:

لفظان مطردان على ألسنة الكبار من الرجال ومن النساء بالدرجة الأولى. وخاصية التصغير هذه خاصية غالبة لدى النساء ليس في النداء وحده بل في كثير من التسميات الأخرى.

وهكذا، نجد أن ألفاظ النداء في اللهجة العاصمية تتعدل بحسب العديد من المؤشرات؛ كالسن والمرتبة الاجتماعية والثقافية الخ... وتتشكل أيضا من عدد مضبوط من العلاقات ذات الاتجاهات المختلطة الأفقية، والعليا، والدنيا.

1 - اتجاهات ألفاظ الكبار:

أ - **العلاقة الأفقية**. أن الرجل والمرأة يقعان على رأس السلم من حيث المحور الزمني. ولهذا فإن علاقة الرجل بالرجل، أو المرأة بالمرأة، والعكس الرجل بالمرأة، والمرأة بالرجل تعد علاقة أفقية (= علاقة مساواة). وتستشف هذه الدلالة من التراكيب المصاحبة لألفاظ النداء. وذلك مثل (نحن الكبار) ويحتوي هذا التركيب

في طياته على عنصر الزمن المتمثل في السن دون تحديد لنوع الجنس. ومثل (نحن الرجال) أو (نحن النساء) ويتضمن هذان التركيبان عنصري الزمن السن، ونوع الجنس. وبسبب هذه المؤشرات فإن الكبار يتنادون بألفاظ محددة تماما منها ما هو إجباري وما هو جائز وما هو غير مقبول وفقا لاختيارات اجتماعية.

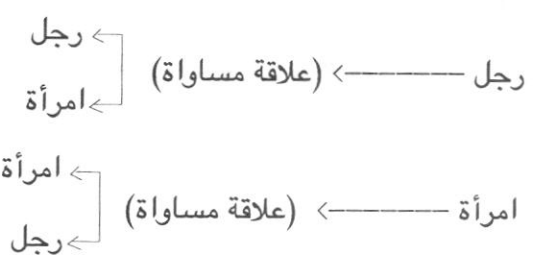

ب – **العلاقة الدنيا:** وتتمثل في وقوع فئة الشباب، وفئة الأطفال في أدنى المحور الزمني. حيث ينظر الكبار إلى الشباب والأطفال على أنهم أصغر سنا منهم. وهذاما يفسر أنواعا محددة من الألفاظ الندائية المستعملة للاتجاهات الدنيا. ويتمفصل هذا المحور على النحو التالي:

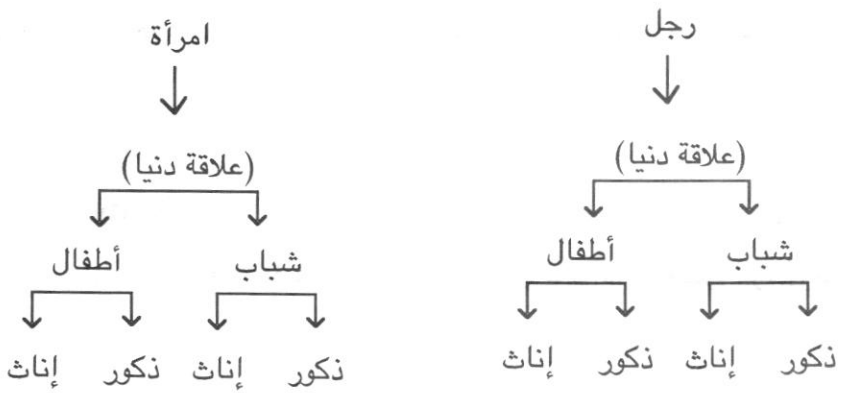

2 - اتجاهات ألفاظ الشباب:

يقع هذا العنصر وسط فئتين متباينتين أشد التباين. وبسبب وسطيته فإن اتجاهات علاقات ألفاظ ندائه متعددة. أفقية، وعليا، ودنيا. وهذه الاتجاهات هي التي وراء تنوع ألفاظ النداء وكثرتها. فمنها ما يستعمل أفقيا فقط، ومنها ما يستعمل عموديا: إما نحو الأعلى، أو نحو الأسفل. ويتمفصل هذا المحور على النحو التالي:

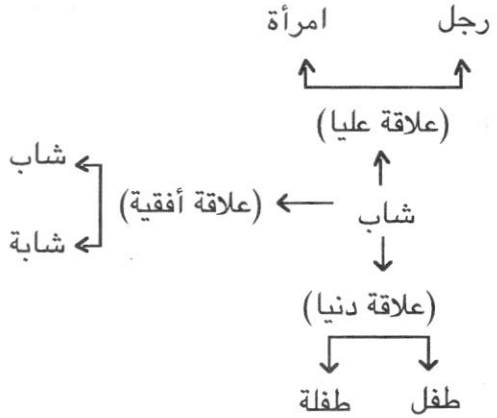

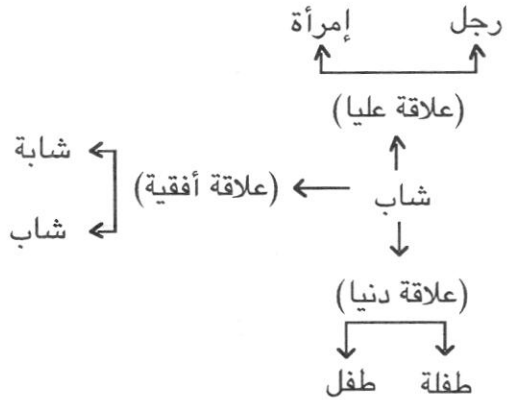

3 - اتجاهات ألفاظ الأطفال:

يشكل الأطفال الفئة الثالثة من تمفصلاتنا. وبطبيعة موقعهم في أدنى المحور السني الزمني فإن اتجاهات ألفاظ النداء لديهم تكون أفقية وعليا. وبحكم عامل السن أيضا فإن العلاقة الأفقية تعد فقيرة جدا من حيث الألفاظ. بل قد تقتصر أحيانا على الإشارة اليدوية أو نوع الجنس (مثل يا ولد، وياطفلة). وأما العلاقة العليا فمتنوعة بسبب التلقين والتصحيح المستمرين ويتشكل هذا المحور من التمفصلات التالية:

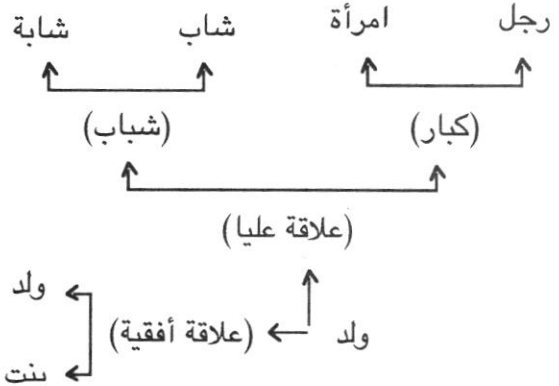

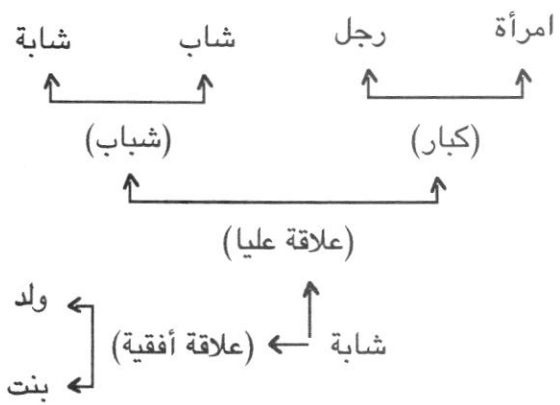

إن ألفاظ النداء المهيكلة في الأشكال البيانية السابقة لا تعكس إلا جزءا من الصورة الواقعة المستعملة حقيقة. وذلك لعدم تمثيلها لعنصر آخر في غاية الأهمية، وهو عنصر يتمثل في الرتبة الاجتماعية والثقافية للمنادي والمنادى عليه. وهذا المؤشر أشد ما يكون تعقيدا وذلك لقيامه أساسا على تقديرات ذاتية نفسية، وقيم اجتماعية محلية ومقامات ظرفية، ومستويات تربوية الخ.. وبحكم هذه العوامل اللالسانية (extra linguistique) فإن ألفاظ النداء قد تصور حقيقة المنادى عليه بدقة، وأن تداخل المستويات والمراتب الاجتماعية والثقافية قد يصعب كثيرا من اختيار اللفظ اللساني المناسب للمنادى عليه.

كما أن ألفاظ النداء في هذا المحور لا تراعي كثيرا الحقائق الموضوعية كالسن الزمني، والنوع الجنسي وحسب، بل تراعي عوامل أخرى مثل المكان، وهيئة الملابس، والمظهر الخارجي، والطريقة الصوتية للنداءات، والمراتب الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسلطوية، والإدارية وغيرها. وكل هذه العوامل مقامية محضة. بمعنى لا لسانية. وما هو لساني منها فهو اللفظ في حد ذاته بصفته وحدة لغوية تنتمي إلى لسان جماعة معينة.

إن الألفاظ التي شملتها هذه المقاربة بشيء من التفصيل في بعضها والسكوت على البعض الآخر، يراد بها الإشارة إلى التمفصلات التي تتخذها هذه الألفاظ أثناء الخطابات التواصلية اليومية في الوسط الاجتماعي الحي. وقد تبين منها أن كل فئة اجتماعية تمثل متغيرات مختلفة على مستوى العديد من المحاور. فاكتفينا منها بالمتغيرات اللسانية، والاجتماعية. وقد تبين لنا بأنها كانت موزعة بكيفية منتظمة بحسب الفئة الاجتماعية والسن والوظيفة والجنس والدرجة الدينية. كما رأينا أن كل صنف من الأصناف الفرعية للفئة كان يستخدم ألفاظا ندائية تتواتر لديه أكثر من غيرها. وهذا معناه أن كل صنف من الألفاظ يعد دليلا على الفئة.

وألفاظ النداء في علاقاتها بالفئات الاجتماعية العاصمية تضع أيدينا على جملة من النتائج التي لا تنحصر في العاصمة وحدها، بل يمكن أن تطرد لتشمل الجزائر عامة. ولهذا فإن هذه العينة الدراسية قد تعد مدخلا لدراسة أشمل وأعم ونتائج أوسع وأدق. وقد أظهرت ملاحظاتنا الشخصية ونتائج الاستبيان أن هذه الألفاظ غير متساوية من حيث العدد (الذكورة 20 لفظا، والإناث 10 ألفاظ)، ولا من حيث التواتر (La fréquence). كما أظهرت أنها قائمة على روابط القرابة الدموية بالدرجة الأولى: (ياخو، ياخويا، ياأختي، يابنتي، ياوليدي، ياوليدو، يايما، يابابا، ياعمو، الخ...) وعلى روابط الانتماء الديني (ياالحاج، يالحاجة، ياسي محمد)، وعلى نوع الجنس (يارجل، يامْرا، ياشيخ، ياولد، وياطفلة). وألفاظ قليلة على التراتب الاجتماعية. وتنتمي كلها إما إلى مستوى اللغة النموذجية (= العربية الفصحى) مثل: (ياسيدي، ياسيدتي، يا آنسة) وإما إلى اللغة الأجنبية (= اللغة الفرنسية) مثل: (يابابا، Papa, Madame, Mademoiselle, Tata, Jeune) وألفاظ المرتبة الاجتماعية (Statut social) توليها المجتمعات المتمدنة عناية كبيرة. ولذلك ينصح العلماء بأن تلقن للأطفال في سن مبكرة عبر شبكة من السياقات المترابطة التي يكتسب الطفل بموجبها القواعد الأخلاقية ومنظومة القيم الاجتماعية(14). وندرة ألفاظ المراتب الاجتماعية في النداءات العاصمية مرجعها في رأينا إلى العوامل التالية:

1 – الهجرات السكانية الكبيرة من الأرياف والمدن الصغيرة نحو العاصمة وذلك بعد الاستقلال. فقدم هؤلاء المهاجرون إلى العاصمة وهم مزودون بعاداتهم وتقاليدهم ومستويات لغاتهم المختلفة فتشكلت من هذا المزيج لهجة جديدة آخذة من كل جهة بطرف.

2 – إن الأغلبية الريفية المهاجرة قد حافظت في لغتها على الروابط العشائرية القبلية ذات القرابة الدموية. وهذا ما يفسر كثرة ألفاظ النداء التي تتصف بهذه الصفات (بابا، عمو، خو، اختي، وهلم جرا).

3 – اختلاف أنماط الحياة الاجتماعية بعد الاستقلال وما صاحبها من عمران وثقافة وتحولات اقتصادية وسياسية أدى إلى ظهور ألفاظ جديدة لم تكن من قبل واختفاء ألفاظ أخرى كانت مستعملة.

إن كل تغيير بحجم استقلال الجزائر وما صاحبها من ثورات سيغير من بنية المفردات. وتغيير المفردات سيؤدي إلى تغيير القيم الاجتماعية التي يجب ترسيخ الايجابي منها والتخلص من السلبي وذلك عن طريق تهذيب الأمهات لأبنائهن، والمدارس لتلاميذها والمجتمع لأفراده.

الهوامش:

(1) – هو علم يبحث في الأسس البيولوجية للغة، وفي التواصل الوراثي للملكة اللسانية لدى الأفراد.

(2) – هي علم يبحث في لغة الطفل واجراءات اكتساب اللغة أو اللغات.

(3) – هو علم يبحث في علاقات البنى اللغوية والبنى العصبية، كما يبحث في الاضطرابات اللغوية وأنواع الحبسات (Aphasies).

(4) – علم يبحث في الكيفيات التي تتحول بها مقاصد الأفراد إلى أدلة معبر عنها بواسطة أطر معروفة ضمن الجماعة الثقافية الواحدة. وبعبارة أخرى فإن علم النفس اللغوي يبحث في إجراءات الترميز وفك الترميز.

(5) – يرى مارسيليزي وقاردن أنها علوم مختلفة في حين يرى تودوروف وديكرو أنه علم واحد بتسميات متعددة. انظر أيضا الملحق رقم (01).

(6) – وهو كتاب ثري جدا بالأخبار والحجج التي تتعلق بدقائق اللغة وأسرارها. ويدعو فيه صاحبه إلى اتخاذ النص اللغوي بأكمله مصدرا للمعلومات البيانية والجوانب الصوتية والتركيبية والدلالية، وينتقد فيه التجزئ المعمول به حاليا في فصل هذه الجوانب بعضها عن بعض.

(7) – انظر على سبيل المثال: مجالس العلماء لابي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي، في الخبر المتعلق بابن عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر في مسألة «ليس الطيب إلا المسك» بالرفع، وهو خبر طويل يعود إليه من يشاء في محله أو في كتاب أنظار لغوية المذكور أعلاه، وسؤال كهذا معناه أن هناك كيفية أخرى تتمثل في نصب (المسك).

(8) – انظر مجالس العلماء للزجاجي، وهي مناظرة اشتهرت باسم المسألة الزنبورية، وهي: «كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي، أو فإذا هو إياها؟) ص 9، 10.

(9) – انظر في هذا: الامتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي: يتحدى أبو سعيد السيرافي متى بن يونس أن يخرج عن طريق المنطق وحده أحكام الواو وحدها في اللغة العربية، فلا يجد متى جوابا لذلك، فيجيب أبو سعيد السيرافي: بأن تكون للعطف وللقسم، والاستئناف، وللحال، وكحرف جر، ص 118-119.

(10) – مجالس العلماء للزجاني، عد إلى الهامش رقم 07.

(11) – انظر الملحق رقم 02.

(12) – قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، السنة الدراسية 2000-2001.

(13) – جاء في كتاب النظرية الشعرية نقلا عن الجاحظ ما يلي: «والإنسان فصيح وإن عبر عن نفسه بالفارسية أو الهندية أو الرومية، وليس العربي أسوأ فهما لطمطمة الرومي من الرومي لبيان اللسان العربي. فكل إنسان من هذا الوجه يقال له فصيح. (الحيوان، 32/1).

(14) – سيتعرض م.أ.ك. هاليداي (M.A.K. Halliday) أثر الشبكة الدلالية (Le filet sémantique) في توجيه الأطفال وتعليمهم قيم المجتمع ومراتبه الاجتماعية بحيث أن كل عبارة توجيهية قد تترتب عليها جملة من السلوكات الاجتماعية مستقبلا (انظر مارسيليزي وڤاردن، ص 176-178).

ثبت المصادر والمراجع العربية:

– النظرية اللسانية والشعرية في التراث من خلال النصوص، عبد القادر المهيري، حمادي صمود، عبد السلام المسدى، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ت.

– دراسة آراء ابن جنى اللغوية من خلال كتاب الخصائص، عبد الرزاق عبيد، رسالة ماجستير نوقشت بجامعة مولود معمري، تيزي وزو، 1992.

– الامتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، تج أحمد أمين، وأحمد الزين،

منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

- مجالس العلماء لأبي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي، تج عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1403هـ-1983م.

- المعجم الموحد للمصطلحات اللسانية (انجليزي-فرنسي-عربي) مكتب تنسيق التعريب، ألسكو، تونس، 1989.

- أنظار لغوية، سالم العلوي.

- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تج محمد علي النجار، دار الكتب، القاهرة، د.ت. (3 أجزاء).

- لغة الشباب بالجزائر العاصمة حي باب الوادي نموذجا، «تناول سوسيولساني، دغبار رضا، رسالة ماجستير نوقشت بمعهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 1999.

ثبت المراجع الأجنبية:

- Le langage: Introduction à l'histoire, Joseph Vendryes, Edition Albin Michel, 1979.

- Sociolinguistique, société, langage et discours, Christian Baylon, Nathan, Paris, 1991.

- Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, T. Todorov, O. Ducrot, Edition du Seuil, Paris, 1972.

- Initiation méthodique à la grammaire générative, Christian Nique, Armand Colin, Paris, 1974.

- Sociolinguistique, Joshua A. Fishman, Fernand Nathan, édition Labor, Paris, Bruxelle, 1971.

- Introduction à la sociolinguistique: la linguistique sociale, Jean-Baptiste Marcellesi, Bernard Gardin, Librairie Larousse, Paris, 1974.

- Présentation linguistique et sociolinguistique, Pierre Encreve, in Langue française, n 34, mai 1977.

- Petit Robert, Paul Robert, Le Robert, Paris, 1983.

ثبت المصطلحات

Acte de communication	فعل التواصل
Acte d'énonciation	الفعل الكلامي
Actes sociolinguistiques	الأفعال اللسانية الاجتماعية
Biolinguistique	اللسانيات البيولوجية
Champ lexical	العقل المعجمي
Circonstanse	الظرف
Contexte	السياق
Corpus	مدوّنة
Ethnolinguistique	اللسانيات الإثنولوجية (العرقية)
Extralinguistique	لالسانية
Fréquence	التواتر
Iceberg	جبل الثلج
Linguistique anthropologique	اللسانيات الأنثروبولوجية
Linguistique sociale	اللسانيات الاجتماعية
Macrostructure	بنية كبرى
Microstructure	بنية صغيرة

Microsociolinguistique	ميكروسوسيولغوية
Neurolinguistique	علم الأعصاب اللغوي
Les normes partagés	المعايير المشتركة
Les normes sociales	المعايير الاجتماعية
Pédolinguistique	لسانيات الأطفال
Sémiologie	السيمياء
Situation	المقام
Sociolinguistique	اللسانيات الاجتماعية
Sociologie du language	علم الاجتماع اللغوي
Statut	المراتب الاجتماعية
Stéréotypes	القوالب الجامدة

ملحق رقم 1

Sociolinguistique, C. Baylon, n 12

ربط العلاقة بين مجموعتين مختلفتين	اللسانيات الاجتماعية Sociolinguistique علم الاجتماع اللغوي Sociologie du langage نوع من: اللسانيات الاجتماعية	المجتمع يحدد اللغة	- دراسة الاختلافات التي تمكن من تحديد التمايزات الاجتماعية. - دراسة السلوكات اللسانيات الجماعية المحددة للفئات الاجتماعية المشكلة من متكلم جماعي.
	علم اجتماع اللغة Sociologie du langage		- دراسة ظواهر اللغة بصفتها مؤشرات للانقسامات الاجتماعية، مع اعطاء الأولوية للمكونات غير اللسانية.
	اللسانيات الاثنولوجية (العرقية) Ethnolinguistique	اللغة سبب البنى الاجتماعية والثقافية والنفسية	- دراسة الحقول الدلالية، والقوانين التصنيفية، وعلاقات اللغة بالأعراق (شعب أو أمة).
انشاء موضوع نظري جديد	اللسانيات الانثروبولوجية Anthropologie linguistique	اللغة ظاهرة اجتماعية ونموذج سلوك	- دراسة وظائف اللغة واستعمالاتها.
اللغة والفضاء المكاني	اللسانيات الجغرافية Géographie linguistique علم اللهجات Dialectologie		- دراسة فضاء مكانية (بواسطة الخرائط) لمختلف الأنواع اللسانية: أ - دراسة مقارنة لأنظمة اللغات المحلية. ب - وصف اللهجات المحلية دون الرجوع إلى اللهجات المجاورة.

اللغة والمجال المكاني والمجتمع	اللسانيات الجغرافيا Géolinguistique		- دراسة جميع الاختلافات المرتبطة بالمواطن الاجتماعية والفضائية لمستعملي اللغة (لهجة خاصة، لهجة لغة وطنية، رطانة، لغة العامة من الناس، تعدد اللغات، لغات مختلفة،

هل أنت: ذكر ☐ أنثى ☐ منذ كم سنة تقيم في العاصمة ☐

أنادي بهذا اللفظ من هو ـــ	أكبر مني	أصغر مني	في سني	الأستاذ الطبيب الإداري الخ..	عامة الناس
(يا) خو					
(يا) خويا					
(يا) ختي					
(يا) خيتي					
(يا) ولد					
( ) وليدو					
(يا) وليدي					
(يا) بني					
(يا) بنتي					
(يا) بنيتي					
(يا) طفل					
(يا) طفلة					
(أ، يا) عمو					
(يا) جارو					
(يا) العزيز					
(يا) رجل					
(أ، يا) الشيخ					
(أ، يا) الحاج					
(يا) سيدي					
(يا سي) محمد					
(أ) بابا					
(يا) مرا					
(يا) يمّا					
(أ، يا) الحاجة					
(بابا سيدو					
(أ، يا) Madame					
(أ، يا) Mademoiselle					
(أ، يا) Jeune					
( ) Tata					
( ) Tontent					

ضع علامة (x) في الخانة التي تراها مناسبة.